

برنامج أنوار كاشفة

سفر الجامعة

الحلقة السادسة والأربعون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. مازلنا ندرس سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابع سليمان الحكيم في اللقاء الماضي الحديث عن قراراته العملية. فقدّم المزيد من البراهين عن أسباب نصيحته بضرورة ذكر الخالق أيام الشباب. فوصف أيام الشيخوخة، وانحلال الملكات والقدرات الجسدية عند الشيوخ. لهذا يصبح مهماً على الإنسان أن يذكر خالقه في أيام شبابه.

مستمعي الكريم، استأنف سليمان الحكيم حديثه عن البراهين التي تؤكد أسباب نصيحته للشباب لكي يذكر خالقه في أيام شبابه. فكتب قائلاً: «فاذكر خالقك قبل أن ينفصم حبل الفضّة (أي الحياة) أو ينكسر كوز الذهب، وتتحمّم الجرّة عند العين، أو تنقص البكرة عند البئر» (الجامعة ٦:١٢ تفسيرية). نلاحظ هنا متابعة الحكيم للاستعارات والرموز التي تشير إلى انحلال الحياة ونهايتها. ويؤكد في نفس الوقت على مدى ضعف الحياة وسهولة انتهائها. إذ شبهها بحبل الفضة الذي ينفصم أي ينقطع، وبكوز الذهب الذي ينكسر، وبجرّة الماء التي تتحطم، وبالبكرة التي تنقص وهي تحمل المياه من البئر.

إن هذه الاستعارات كانت مألوفة جداً من واقع الحياة في ذلك العصر، ولهذا استخدمها الحكيم. وكل هذه الرموز تشير إلى انحلال النفس والجسد. فشبه حياة الإنسان بكوز الذهب المحتوي على زيت للمصباح، معلق بحبل من الفضّة. فينقطع الحبل وينكسر كوز الذهب. وشبه حياتنا بجرّة ماء تتحمّم، ونحن نعلم كم هو سهل وسريع تحمّم جرّة الماء الفخارية، ولا أحد يستطيع جمع أجزائها مرة أخرى. وأيضاً شبه حياتنا بالبكرة التي تنقطع وهي ترفع المياه من أعماق البئر، وهذا مما كان يسبب مشكلة كبرى في تلك الأيام للحصول على الماء.

وتابع سليمان الحكيم واصفاً نهاية الحياة، أو الموت عند الإنسان فكتب قائلاً: « فيعود التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله واهبها» (الجامعة ٧:١٢ تفسيرية). هذه حقيقة هامة أنه عندما يموت الإنسان، يعود جسده الترابي إلى الأرض، بينما ترجع روحه إلى الله خالقها. وهنا علينا أن نعود إلى سفر التكوين عندما خلق الله الإنسان، إذ نقرأ: « وجبل الرب الإله آدم من

تراب الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حيّة» (تكوين ٢:٧). نعم لقد جبل الله أبانا آدم الإنسان الأول من التراب، ثم نفخ فيه نسمة الحياة، فصار نفساً حيّة، أي صارت فيه الحياة.

وعندما أخطأ أبوانا الأولين آدم وحواء وعصيا أوامر الله، قال الله لآدم: « ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تكوين ٣:١٧-١٩). لأنك تراب وإلى تراب تعود. أجل، فبسبب عصيان أبوانا الأولين حكم علينا الله بالموت، أي بانفصال أجسادنا عن أرواحنا. وهكذا تعود أجسادنا عند الموت إلى التراب الذي جُبلنا منه وتتحل. أما أرواحنا وهنا بيت القصيد فتعود إلى الله خالقها.

لقد تكلم سليمان الحكيم عن حقائق أكيدة يعرفها من كلمة الله، ومن الوقائع التي شاهدها أمامه. ولهذا نصح الشاب أن يذكر الله خالقه قبل أن يصبح شيخاً، فتنحل قواه ويأتي عليه الموت، الذي هو نهاية لحياته على الأرض. وبالطبع لن تنتفع الندامة بعد الموت، إذ سينال كل إنسان نتيجة مواقفه وأفعاله.

صديقي المستمع، إذا كنا جميعاً سنموت وستعود أجسادنا إلى التراب، هل هذا يعني أن الموت هو نهاية كل شيء؟ وماذا يحصل للروح عندما تذهب إلى خالقها؟ إنها أسئلة هامة على كل إنسان أن يعرف الإجابة الصحيحة عنها. أجابنا المخلص المسيح عن هذه التساؤلات عندما صرّح قائلاً: « أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (بشارة يوحنا ١١:٢٥ و٢٦). فماذا قصد المسيح بهذا التصريح الهام؟

لقد أكد المسيح على حقيقة هامة إذ قال، أن الموت لا يعني نهاية كل شيء، بل هناك قيامة للأموات. وأن كل من يؤمن به - أي بالمخلص المسيح - سيحيا مرة ثانية. وبالتالي إن هذا يعني أن كل من يؤمن بالمسيح لن يموت إلى الأبد. لكن ألا يتناقض هذا القول مع حقيقة أن الإنسان عند الموت يعود إلى التراب وينحل جسده؟ لقد أجابنا بولس رسول المسيحية الأول فقال: « الإنسان الأول من الأرض ترابي. الإنسان الثاني الرب من السماء.. وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس صورة السماوي» (١كورنثوس ١٥:٤٧، ٤٩).

لقد كان أبونا آدم، الإنسان الأول من التراب، بينما الرب المخلص يسوع المسيح، الإنسان الثاني، قد أتى من السماء، وقام من بين الأموات، بعد موته الكفاري بجسد ممجّد. وهكذا كل من يؤمن بالمخلص المسيح، لا بد أن يأخذ هذا الجسد السماوي الذي أخذه المخلص المسيح، عندما تحصل القيامة الأخيرة. ثم شرح الرسول بولس كيف تتم هذه العملية فقال: « هوذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير، في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت» (١كورنثوس ١٥: ٥١-٥٣).

ففي اليوم الأخير عندما يقيم الله الأموات جميعاً من القبور، سيُلبس الله المؤمنين بالمسيح أجساداً سماوية ممجّدة، تحيا إلى الأبد، أما الذين رفضوا المسيح فسيذهبون إلى العذاب الأبدي. ألا تود مستمعي أن يكون عندك رجاء بالقيامة من الموت؟ آمن إذن بالمخلص المسيح الذي هو وحده القيامة والحياة.